تقف للصلاة فتفيض عليها من الجلباب والخمار ... إنها تتحجب هنا فقط ، تتحجب على الله ! ! !

وذكرني هذا بتلك المرأة ، التي عادت من الحج ، لتحيي حفلة راقصة تدور فيها الكؤوس ويكون بعدها ما يكون ، احتفالا بهذا الحج المبرور ...

إنها من أولئك « الارستقراط » اللواتي يقلدهن الجيل ! والمجلات الداعرة ... إنها تنشر صور هؤلاء الارستقراط في مباذلهم ، وتقول عن نسائهم المتبذلات إنهن شرفن مصر ! وتقلدهن بنات الشعب المسكين .

وهنا في « بلاج الشعب » في سيدي بشر رقم ١ شاهدت مصوراً لإحدى هذه المجلات الداعرة ، يلتقط صورة لفتاة من بنات الشعب « بالمايوه » . وكلفها أن تضطجع ضجعة خاصة فأطاعت . ويبدو أن شيئاً من حياء الأنوثة ، أو حياء الإنسانية كان لا يزال يراودها فضمت فخذيها ... ولم يعجبه المنظر فقرب منها وقرب ، ولمس بيده ركبتيها لتفتح ما ضمت . فلما ترددت قليلا ... قال : « الله ! إنت فلاحة وإلا إيه » ؟

وانحلت العقدة : فمن هي التي تريد أن تكون فلاحة ؛ وهل تستحي إلا الفلاحة ؟ والفلاحون ليسوا « أرستقراط » بشهادة الجميع !!!

و « تانت » و « انكل » و « دادي » ...

ميوعة أولاد الذوات ورقاعتهم المهينة ، المهينة لأنها لا تمتاز بقومية ولا لغة ، المهينة لأنها تحتقر نفسها حين تلجأ إلى اصطلاحات الآخرين ... هذه الميوعة مع الأسف أخذت طريقها إلى الشعب .

والمسألة أعمق من أنها مجرد ألفاظ . المسألة هي الشعور بالنفس أو عدم الشعور . المسألة أن لي كرامة في نفسي ولغتي وبلدي أم ليست لي هذه الكرامة . وأولاد الذوات لا كرامة لهم لأنهم لا نفوس لهم ولا وطن ولا عراقة ... فما بال الشعب يتزلق إلى التميع المهين ؟

يا بحر . إنك لتغضب . وإنك لتزمجر . وإنك لتجرف في ساعات غضبك وزمجرتك كل خبث في جوفك ، فتقذف به إلى الشاطىء ... اعكس مرة أيها البحر ، فاجرف إلى جوفك قذر الشاطىء بكل ما فيه !

سيد قطب

كلمة صريحة لله وللوطن :

دفاع عن الفضيلة . . .

[تأييداً لمقالات الأستاذ سيد قطب]

(لأحد الكتاب)

هال بعض المصلحين منذ سنتين ما رأوا من فشوّ التبرج والاختلاط في دمشق البلد العربي المسلم ، فقاموا يدافعون عن الفضيلة المغلوبة ويردّون الرذيلة الغالبة ، وانقاد إليهم الناس ، لأن الكثرة الكاثرة من أهل دمشق لا تزال متمسكة بدينها ، ولا تزال نساؤها في الحجاب الساتر ، ومشت الأمور في طريقها ، وكادت تصل إلى غايتها ، ودعاة الفجور ينظرون ويتحرقون ... لولا أن رفعت النيرة على الأخلاق الإسلامية والسلائق العربية بعض العامة إلى الدخول على النساء في السينما وإخراجهن منها وترويعهن ، وإلى التجوال في البلد ونصح كل متبرّجة ووعظها وزجرها ... وقد أنكر العلماء وعقلاء البلد ذلك عليهم فكفوا عنه وأقلعوا ، ولكن دعاة الفجور لم يرضهم أن تنتصر دمشق للفضيلة وأن تهدم عليهم عملهم على رفع الحجاب وإباحة الاختلاط ، فاستغلوا عمل هؤلاء العوام وأعلنوا إنكاره وكبّروه وبالغوا في روايته ، وذهبوا يقيمون الدنيا ويُبرقون البرقيات ويُرعدون بالخطب ، وما أهون الأبراق والأرعاد ، وما أسهل إثارة الشبان الفاسقين على الستر والحجاب ، باسم (الحرية الشخصية) التي تمتع عيونهم بما وراء الحجاب من جمال ، وتُنيلهم ما بعد حدود الفضيلة من لذائذ .. !

أيخرجون النساء من السينما ؟ أيعرضون بالنصح للمتبرجات الكاشفات ؟ يا للحدث الأكبر ، يا للعدوان على الحرية الشخصية التي ضمنها الدستور ! أليست المرأة حرة ولو خرجت عارية ؟ أليس الناس أحراراً ولو فسقوا وفجروا ؟ أليس كل امرئ حراً ولو نقب مكانه في السفينة فأدخل إليها الماء فأغرقها وأهلها ؟ !

كذلك فهم الحرية هؤلاء الجاهلون ... أو كذلك أراد لهم هواهم ، وشاءت لهم رغباتهم الجنسية وميولهم النفسية أن يفهموها ،

ودفعوا الصحفيين فلبثوا أياماً طوالا لا كلام لهم إلا فى الدفاع عن (الحرية ...) ، وهاجوا بعض النواب ، فجرب كل واحد منهم أن يتعلم الخطابة فى تقديسها ، ثم عمدوا إلى فئة من خطباء المساجد حاموا عن الفضيلة ، فساقوهم إلى المحاكم سوق المجرمين ، وأدخلوهم السجون ، وجرعوهم كؤوس المهانة ، حتى صار من يذكر السفور بسوء ، أو يدعو إلى الفضيلة والستر كمن يدعو إلى الخيانة العظمى ، وصار النساء إذا رأين شيخاً فى الطريق شتمنه وسخرن منه ، وتوارى أنصار الفضيلة من وجه هذه العاصفة الفاجرة الهوجاء ، وهم جمهرة أهل الشام وعلماؤهم وأفاضلهم وعقلاؤهم ، وحسب أولئك أن الظفر قد تم لهم ، وأن أهل الدين قد انكسروا كسرة لا تجبر ، فكشفوا القناع وانطلقوا يسرحون وحدهم فى الساحة ويمرحون ... وكانت النتيجة أن انحطم السدّ فطغى سيل الرذيلة وعم ، وامتد فى هاتين السنتين أضعاف ما امتد أيام حكم الفرنسيين الذين هم أفسق الناس ، وهذه حقيقة نثبتها بأسف وخجل ... وكانت النتيجة أن ازدادت جرأة التعدى على العفاف واستفحلت حتى رأت المحاكم من يعتدى على عفاف بنته وأخته ، ومن يفجُر بطفل رضيع ، وماذا يصنع هذا الوحش الذى أثارت (الحرية الشخصية) غرائزه فلم يجد إلا البنت والأخت أو الطفل الرضيع ؟ وكانت النتيجة أن دمشق التى تستر بالملاءة البنت من سنها العاشرة شهدت يوم الجلاء ، بنات فى السادسة عشرة وما فوقها يمشين فى العرض بادية أفخاذهن ، ترتج نهودهن فى صدورهن ، تكاد تأكلهن النظرات الفاسقة ... وشهدت بنتاً جميلة زينت بأبهى الحلل ، وألبست لباس عروس ، وركبت السيارة وسط الشباب — قالوا : إنها رمز الوحدة العربية ... ولم يدر الذين رمزوا هذا الرمز أن العروبة إنما هى فى تقديس الأعراض لا فى امتهانها ، ومشى الموكب أمام الناس وفيهم والد هذه البنت لايستحيي ولايخجل ، وأخرى قالوا أنها رمز سورية الأسيرة قد فكت قيودها ... وأمثال هذا الهذيان الذى لا معنى له إلا استغلال العيد الوطنى فى هدم أركان الفضيلة وتمزيق حجابها ... وأخذت صور هذا كله فنشرت فى الجرائد وعرضت فى السينمات ، ثم ازدادت جرأة الناس على نقض عرى الأخلاق حتى رأينا صور ممثلينا السياسيين مع نسائهم على (بلاج) الأسكندرية منشورة فى إحدى مجلات مصر التى لا تدع فرصة فيها تشهير بنا وفضح لنقائصنا إلا استغلتها ، ثم ازدادت الجرأة حتى صارت مجلات دمشق تنشر صور العرايا فيشتريها الشباب لهذه الصور ، لأنه ليس فيها ما تُشترى له ، ثم امتد الشر حتى رأينا وزارة المعارف تعمل من الطالبات كشافات يمشين فى الطرق بمثل لباس المجندات فى الجيش الأميركى بعد أن كانت دمشق لا تحتمل أن ترى الكشافين الشباب بلباس يرتفع عن الركبتين ، وحتى رأيناها تقيم ممرضاً لأدوات تحضير الدروس التى صنعها المعلمون ، فتترك مدارس البنين كلها ، ومنها الثانوية المركزية ببنائها الضخم وأبهائها ، وهى أصلح مكان للمعارض ، وهى التى أقيم فيها معرض دمشق الكبير سنة ١٩٣٦ ، وتختار مدرسة بنات فى طريق الصالحية ، ثم يفتتح المعرض مدير معارف دمشق ... بدعوة الرجال لمشاهدة فرقة من الكشافات يغنين على المسرح ويأتين بحركات رياضية تبدى للأعين الفاسقة المفتحة أكثر ما يخفى عادة من أجساد فتيات نواهد ... قد انتقين عمداً أو مصادفة من جميلات الطالبات ، ثم امتد الشر حتى رأينا محافظ دمشق يفتتح نادياً يكون من قانونه أن العضو يجيء مع زوجته أو ابنته (غير المتزوجة ...) ، وحتى شهدنا النفر الشيوعيين العزاب المشهورين الساكنين فى القهاوى الخبيثة والخمارات ، أصحاب (تلك) البرقية الوقحة المعروفة يسلمون أمر المعارف ، ويسلطون على الشبان والشابات ، فيبتدعون لهم نظام المرشدات (وإنه لنظام الضالات المضلات) والاختلاط فى الحفلات ، فبعد أن كانت مدارس البنات لا يدخلها معلم ولا فراش إلا إن كان شيخاً كبيراً ، صار معلموها من الشباب العذاب المتأنقين الحاسرين أصحاب الشعور المرجّلة والوجوه المخفوفة ، وصارت تقيم حفلات للرجال يمثل فيها البنات ويرقصن بالثياب القصيرة (الرقص الرياضى ...) ، ويدبكن الدبكة الوطنية ، ثم يخترعون شرّ اختراع ، وهو هذه الرحلات المدرسية التى يشترك فيها الجنسان ، وها هو ذا إعلان قرأته فى جريدة دمشقية تصدرها جمعية إسلامية عن رحلة إلى استامبول يشترك فيها الطلاب والطالبات والمعلمون والمعلمات إلى استامبول — يا أيها الناس — لا إلى بيروت ... وكان من البلاء أن هذه الجريدة نشرته ونسيت

أن تعلق عليه ، وتبين حكم الله فى هذه الرحلات ، وحكم العقل والأخلاق ... ثم ينقلون دار المعلمات من مكانها القديم المستور إلى (ڤيلا)[1] جديدة فى شارع محدث فى ظاهر البلد ، مكشوفة من كل جهاتها ، لها طنف وشرفات دائرة بها ، وسرُر الطالبات تظهر من الطريق ، فإذا نهضن من النوم رآهن (من تحت) من يمشى فى الشارع بثياب المنام ، ثم يدفعون خريجات دور المعلمات فيعملن حفلة خيرية ، فلا يجدن لها مكاناً فى دمشق إلا مرقص العباسية ، ويطبعن فى البطاقة أنه سيغنى فيها (فلان) من فسقة المغنين ، وترقص (فلانة) الراقصة المحترفة رقصاً بلدياً !

ثم ... ثم ما ذا ؟ الله وحده الذى يعلم ما ذا يكون أيضاً ، وإلى أين يبلغ بنا السير ...

وقد نزلت هذه الضربات على وجه الفضيلة متلاحقة متتابعة لا تصحو من واحدة حتى تحس بالأخرى ، وهم يريدون منا مع ذلك أن نسكت وألا نقول شيئاً ، لئلا نشوّه (زعموا) جمال المعهد الوطنى

كلا . إن المعهد الوطنى هو الذى تنتصر فيه الفضيلة ويسود الحق ويحفظ العفاف ... كلا ، ولا كرامة ، إنها أعراض بناتنا وأخواتنا ، ولو غير الأعراض لهاودْناكم عليها ، ولكن لا هوادة فى العِرْض !

إنها حياة هذه الأمة : لا تحيا أمة بلا أخلاق ، أفمن قامت فئة من العامة بما لا ترضى عنه ، وانتهكت حرمة هذا الحرم الأقدس : السينما ، وتجاوزت على حريات الفاضلات المطهرات : النساء المتبرجات نسكت كلنا عن نصرة الفضيلة إلى يوم القيامة ؟

إن من الأمور ما يتفق عليه أبناء الملل كلها ، وما يلتقى فيه أتباع الأديان جميعاً كما يلتقى سالكو شوارع مختلفة فى ساحة من الساحات ، ومن ذلك الدعوة إلى العفاف ، إنها دعوة لا بد منها ، فإذا لم تريدوها عن الجمعية الفراء والمشايخ ، فلتكن عن طريق البطرك أو الحاخام أو الوثنى الملحد ، المهم أن يجهر بها جاهر ونحن معه مؤيدون له ومحاربون لمن يحاربه ، ونحن نريد الجوهر لا المظهر

ثم ما هذه الحرية التى طبلتم لها وزمرتم ، وهوّلتم وعظمتم ، وجعلتم الاعتداء عليها كفراً بدين الحضارة والديمقراطية ، أهى حرية المرأة أن تكشف ما تريد من جسمها متى أرادت وأين شاءت ؟ أهى حرية ناظر المدرسة فى أن يحوّل مدرسته إلى مرقص؟ أهى حرية الفسوق والعصيان ؟

أهذه هى الحرية المقدسة ؟

إنكم — أيها السادة — بين أمرين : إما أنكم تقولون ما لا تفهمون ، وإما أنكم تستترون بهذه الأسماء الحلوة أغراض نفوسكم ورغبات أجسادكم ؟ وإلا فخبرونى أى أمة فى الدنيا تصنع هذا الصنيع :

العرب ؟ إن العرب أغير الناس على الأعراض ، وإن كلمة العرض فى لسانهم لا يقابلها كلمة فى ألسنة الأمم تترجم بها !

المسلمون ؟ إن الإسلام أمر بغض البصر وستر العورة ، ولعن الناظر إليها والمنظور !

الفرنسيون ؟ إن الفرنسيين يكشفون أفخاذ الشباب فى اللعب فعلام تكشفونها أنتم فى سوق الحميدية وهو للبيع والشراء ، وفيه الرجال والنساء وهو كالموسكى فى مصر والشورجة فى بغداد ، ما كان قط ملعباً ولا ميدان كرة ، وإن الفرنسيين ينشئون بيوتاً للهو واللذة وبيوتاً للعلم ، وأنتم جعلتم بيوت العلم بيوت لذة ولهو ، وإن الفرنسيين كانوا يسترون سيقان الجند ، فلما استلم أنتم الجيش كشفتم عن أفخاذهم ...

الروس ؟ إن الروس فصلوا بين الجنسين فى المدارس لما رأوا بالتجربة أن الاختلاط لا يأتى بخير ، وأنتم تسعون الآن بكل طريق لجمع الجنسين فى المدارس

العفاريت ؟ الجن ؟ فمن إذن ؟ أنكون نحن بدعاً فى الأمم نأخذ من كل واحدة شر ما عندها ، ونريد أن نبدأ حياتنا الاستقلالية بهذا الخليط من الشرور مركباً تركيباً مزجياً كحضرموت ... إنه والله طريق الموت الحاضر لا طريق الحياة !

لا . لم أرد أن أنحو فى هذا الحديث نحو الخطابيات ، ولم أنشئه لأخاطب به العواطف وحدها ، ولكن نحوت فيه نحو التدليل والتعليل ، وقررت حقائق بأدلتها ، وأنا أدعو إلى مناظرتى فيه كل مخالف فى رأسه عقل ، وفى يده قلم ، وفى فيه لسان ...

ولم أوجهه للمسلم وحده ، بل لكل من قال أنا عربى ، لا أخص مسلماً ولا مسيحياً ، لأن من صفات العربى التى تقوم عليها عروبته الشهامة والغيرة على الأعراض ، ومن ادعى العربية ولم تكن له على العرض غيره ، ولم يغضب لحرمه فهو كذاب دعى ليس بعربى

(١) الڤيلا : عند الأمير شكيب المنى وعند الأستاذ الزيات الـ

وسيقول ناس من القراء : هذا رجل معروف بالدعوة إلى الرجعية فلا تسمعوا له أنه يريد أن يعود بنا إلى الوراء ، ونحن نريد أن نتقدم

وهذا كلام لا يناقش ولا يرد عليه ، إنما يناقش كلام مؤيد بحجة ، إنما يدفع اعتراض قائم على منطق ، إنما يقرع الدليل بالدليل ، فهل فى هذا الكلام حجة أو منطق أو دليل ؟

إنهم حفظوا كلمات فهم يرددونها لا يحاولون فهم معناها ، يقولون : رجعية ... وما الرجعية ؟ هى الرجوع إلى الماضى ، أى إلى أخلاقه وعاداته ، فما يمكن أن يرجع إلى زمان مضى ، فهل الرجوع إلى مثل أخلاق المسلمين الأولين نفع أو ضرر ؟ وهل يكون الداعى إلى تلك الأخلاق مصلحاً أو مفسداً ؟

هذه هى الرجعية !

هى رجوع إلى الدين ، أفترجع فرنسا إلى دينها ، أى إلى كاثوليكيتها ، ويظفر الحزب الدينى فيها بأكثر مقاعد المجلس النيابى ، فلا ينكر عليها أحد ، ولا يتهمها بالتأخر ، ولا يصمها بالجمود ، ونطلب نحن العودة إلى ديننا الحق ، فيقول السفهاء : أنا متأخرون جامدون ؟ !

لا . هذا كثير ! هذا كفر بالمنطق ، وتعطيل للفكر ، وإلحاد فى المدنية ... هذا شىء نستحى من الأمم أن يكون فينا من يقوله !

ونحن إذ ننتقد شيئاً نبين أضراره ، فبينوا أنتم منافعه . حتى إذا وجدنا المنافع أكثر أخذنا به ، ولو حملنا معه شيئاً من الضرر ، ونحن نسلم أنه ليس فى الدنيا خير محض ولا شر محض ، وإن الخمر والميسر فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، ولكن إثمهما أكبر من نفعهما ، فلذلك حرما

فتعالوا نتناظر !

إنه لا بد فى كل مناظرة من مبادئ يتفق عليها الطرفان ليعودا إليها ، ويرتكزا عليها ، وما المنطق إلا رد الفروع إلى هذه الأصول ، فإذا كان المتناظران مختلفين فى كل شىء ، يرى هذا أن العفاف نافع فيقول الآخر بل هو ضار ، ويدعى هذا أن اتباع الدين واجب فينكر الآخر هذه الدعوى ، ويرى هذا العمل على منع الفجور ، ويرى ذاك العمل على نشره ... فلا يمكن أن يكون بينهما كلام !

فلنتفق أولا على الأصول :

هل العفاف وقصر الاتصال الجنسى على المشروع منه خير أم شر ؟

هل قيام المرأة على تربية أولادها بنفسها وإخلاصها لزوجها وبيتها خير أم شر ؟

هل مراقبة الله وخوفه وتمسك كل امرىء بفضائل دينه خير أم شر ؟

هذه ثلاث مسائل أطلب الجواب عليها .

وأنه ليكون غروراً منى وازدراء للخصوم وللقراء ، إذا افترضت أنهم يرون هذه الأمور شراً ، وحاولت إقامة البراهين على أنها خير وأتعبت نفسى والقراء فى إثبات هذا الأمر الذى أظنه ثابتاً عند العقلاء جميعاً ، وإنى أؤجل هذا الاثبات إلى حين الحاجة إليه وأبنى المناظرة على هذه الأسس الثلاثة :

فتفضلوا قولوا ، هل هذا الذى نحن فيه يحفظ علينا عفافنا أم هو يضيعه علينا ؟ هل يعمر بيوتنا أم يقوضها على رؤوسنا ؟ هل يرضى ربنا أم يسخطه علينا ؟ هل يجعلنا أمة قوية أم هو يذهب بقوتنا ؟

وإذا سلمنا جدلا بأن من الخير مشاركة الطالبات الطلاب فى أفراح الجلاء ، فهل يشترط فى هذه المشاركة أن يكشفن سيقانهن وأفخاذهن ، وأن ينتخب لها الجميلات منهن لا القابعات ولا المجدات ولو كن قبيحات . وإذا لبس الجوارب السائرة والثياب الطويلة أيبطل رواء العيد وتذهب بهجته ؟ أم أنتم تريدون النظر إلى أفخاذهن بحجة المشاركة فى أعياد الجلاء ؟

وإذا حسن أن نقوى بالرياضة أجساد الطالبات ، فهل يشترط فى هذه التقوية أن يختلطن بالرجال ؟ وإذا لزم نقل دار المعلمات إلى دار صحية فهل يشترط أن تكون مكشوفة من جهاتها الأربع ، وأن تكون (المحلات العمومية) أستر منها ؟

لا والله ، أحلفها يميناً غموساً وأضعها فى عنق ... إنكم لا تريدون الصحة ولا الرياضة ولا المشاركة بالعيد إنما تريدون التلذذ بمرأى بناتنا باسم العيد والرياضة والصحة ، إنكم لصوص أعراض . . ولكن ليس الحق عليكم ، الحق علينا نحن آباء الطالبات والطلاب ، فنحن عميان لا نبصر خرسان لا ننطق ، حمير لا نغار وإذا استمرت هذه الحال فليس أمامنا إلا اللعنة التى نزلت على بنى إسرائيل ، على لسان داود وعيسى بن مريم .

اللهم لقد بلغت ، اللهم لقد أنكرت المنكر .

اللهم لا تنزل علينا لعنتك ، ولا تحلل بنا غضبك .

(دمشق) أمير الكتاب